MAat و Isft دراسة مقارنة من حيث المفهوم وأسبقية التواجد الزمني

دكتورة/ شويكار محمد سلامة

أستاذ الآثار المصرية القديمة المساعد بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية ـ كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

مقـدمـة:

تعتمد العقائد والمعتقدات الدينية المصرية القديمة، على محورين أساسيين هما محوراً الديانة المصرية القديمة؛ الأول يكمن فى العقيدة الأوزيرية وجوهرها ينبثق عن الفيضان، والثانى هو العقيدة الشمسية التى تُمثل المعبود رع (شكل 1).

وقد أوجد المصرى القديم لهذين المحورين – أوزير ورع – مناهضين وعدوين تمثلا فى الصحراء التى تجسد الفوضى والموت الكامنين فى المعبود ست، بالإضافة إلى الظلام واللانهائية واللاوجود الذى يجسدهم المعبود أبو فيس app، ويحاول هذان العدوان مهاجمة النظام الكونى بصفة مستمرة حتى يعيدونه إلى حالته البدائية الكامنة فى الفوضى واللاوجود والعدم iwtt. ولكن تحاول النظم الكونية الخيرة طرد هذه العناصر الفوضوية، وكبح جماحها حتى تستمر الحياة على وجه البسيطة، ويسير الزمن فى دورته وفق ما أقره المعبود الخالق منذ بداية خلق الكون sp-tpy.

وتجدر الإشارة إلى أن العقيدتان الأوزيرية والشمسية، قد تدخلت وتغلغلت بشكلٍ جلى فى شتى عناصر الكون، حتى إنها أثرت على محاور المعابد فكان محورا المعبد الشرقى والغربى يُمثلا الشمس، أما المحوران الجنوبى والشمالى فيُمثلا الفيضان، ولهذا أعتقد المصرى القديم أن المعبد المصرى القديم يُمثل الكون المنظم ومذهب الوجود والكينونة المنظمة ntt[1].

وقد كان حسب معتقدات المصرى القديم حدوداً تفصل بين النظام والفوضى - هذه الحدود يظهر فيها الثعبان app "عبب" كل يوم ليعطل مسيرة الزمن - حيث كان هذا الثعبان يرمز لعالم الفوضى واللاوجود الذى ليس له بداية أو نهاية، وأحد نصوص العصر المتأخر فى معبد إسنا تفسر أصل الثعبان "عبب" بأن المعبودة الأزلية نيت قد بصقت فى المياه الأزلية فكان " عبب"، حيث كان هذا الثعبان موجوداً قبل خلق العالم، إلا أنه هُزم بواسطة المعبود الخالق وأُخرج خارج حدود الكون، ومنذ هذا الوقت صار

---

(1) Zandee, J., Death as an Enemy, New-York., 1977, pp. 218-223.

هذا الثعبان يعترض طريق مركب الشمس فى رحلاتها، ويحاول جاهداً قطع حلقات الزمن مما يسبب دمار الكون ونهاية العالم، إلا أنه كان يُهزم يومياً. وهناك مجموعة من التعاويذ واللعنات ضد "عبب" ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد وردت ضمن كتاب يُعرف باسم "هزيمة عبب" فى بردية Rhind، كما كانت تُقام الصلوات والشعائر ضد عدو رب الشمس لإنقاذ العالم من الكوارث والأخطار التى تهدد الكون وتنبئ بتوقف الزمن الذى يعنى نهاية الحياة على وجه البسيطة[1] (شكل 2 أ، ب، ج، د)

مفهوم الماعت MAat في المُعتقدات المصرية القديمة:

يُعد إصطلاح mAat لفظاً يُعامل معاملة المؤنث، الذى ينتهى بتاء التأنيث، كما كان اللفظ يكتب mAa، ويتأكد ذلك فى كتابته القبطية MEEI، MHI، ME، وكذلك MHT، بمعنى "مُحق، عادل، مستقيم، صالح"، ويُلاحظ أن أصل اللفظ هو mAa بمعنى "يستقيم، يصلح، يعالج"[2].

وقد عبرت فكرة الأبدية فى مصر القديمة، عن دوام وخلود مدلول الوجود ماعت، الذى يُشير إلى النظام الكونى، كما يُعبر أيضاً عن "السبيل أو الأسلوب الذى يجب أن تكون عليه الأشياء"، وتهدف وظيفته الرئيسية إلى "الإرشاد إلى الطريق السديد المستقيم" لدورة الشمس فى الكون وكذلك خلود المتوفى فى العالم الآخر، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تعددت ترجمة مذهب الوجود ماعت، وكان من الصعب ترجمة ذلك فى اصطلاح واحد، لذا استند علماء المصريات إلى الشكل الكتابى للفظ ماعت أكثر من ترجمته[3].

وتندرج المظاهر والمفاهيم الإيجابية لمذهب النظام الكونى "ماعت"، فى الخصوبة، والاستقامة، والازدهار، والانتصار، والنظام، والعدالة،

---

(1)Hornung E"Conceptions of God in Ancient Egypt, the one and the many", New York, 1985., pp. 158-159.
-Clark. R. T., Myth and Symbol in Ancient Egypt., London., 1959., p. 90.
- Hornung. E"The Valley of the Kings, Horizon of Eternity", New York, 1990., p. 107.

(2) أحمد جلال، "فضيلة الحق فى مصر القديمة"، مجلة كلية الآثار، العدد 8، جامعة القاهرة، 2000م، ص 762-766.

- cf: Wb. II, 18.

(3) Allen, J., "Middle Egyptian; An Introduction to Language and Culture of Hieroglyphs", Cambridge, 2000, pp. 115f.
- cf: Jacq, C., "Le Voyage dans l'autre Monde Selon L'Egypte ancienne", Monaco, 1986, p. 93.

والإنصاف، ويهدف ذلك كله إلى ديمومة حركة الحياة الطبيعية فى الكون، كما أن غياب الماعت يُنذر بحدوث فوضى، وتدهور وإعوجاج للنظام الكونى، مما يُنذر بنهاية الكون، وإنقطاع دورة الزمن فى الكون، كما أن وجود الماعت يُسهم بقدرٍ كبيرٍ فى وصل حلقات الزمن فى الكون، مما يُحقق الخلود الكونى المُتجدد، وإزدهار الفضيلة كوسيلة مُثلى لاستمرارية الحياة فى الكون[1].

ويعمل مذهب الوجود الكونى المنظم "ماعت"، على إدارة الكون وحفظ عناصره ومكوناته بطريقة دائمة، وخالدة فى مواضعها الأساسية، ضماناً لاستمرارية الحياة على وجه البسيطة، وتحقيقاً للخلود المنشود فى العالم الآخر[2].

والماعت هى السُلطة العليا التى تُحافظ على مسيرة النظام الكونى، ويندرج ضمن هذه السُلطة، وجود الهيمنة الملكية المقدسة التى تتحقق فى السماء خلال رحلة الشمس، وعلى الأرض من خلال الفضيلة والسُلطة الملكية، وإذا ضعفت أو تقلصت هذه السلطة والهيمنة، وإذا توقف هذا التضامن، والانسجام، بين مفهوم الكون السماوى، الذى يندرج فى رحلة الشمس اليومية، ومفهوم الكون الأرضى الذى يندرج فى السلطة الملكية، فإن النظام الكونى، والكون أجمع يسير نحو الفوضى والرذيلة، التى هى مكمن الإسفت Isft فى مصر القديمة[3].

---

(1) Helck, W., "Maat", in: LÄ, III, Wiesbaden 1979., cols. 1110-1117.
- cf: Menu, B., "Le Tombeau de Pétosiris (2), Maat, Thot et Le droit", in: BIFAO, 95, 1995, p. 282.
- cf: Foster, J. L., "Wisdom Texts", in: Oxford Encyclopedia, of Ancient Egypt, vol. III, Cairo, 2001, pp. 305-307.

(2)راجع: عبد العزيز صالح، فلسفات نشأة الوجود، مجلة المجلة، القاهرة، كلية الآداب، فبراير 1959، عدد26 ، ص 33-35.
- cf: Derchain, Ph., "Kosmogonie", in: LÄ, III, cols. 747-756.
- cf: Lesko, L., "Ancient Egyptian Cosmogonies and Cosmology", in: Shafer, B., Religion in Ancient Egypt, London, 1991, pp. 88-122.

(3) يان أسمان: "ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية"، ترجمة زكية طبوزاده وعليه شريف، القاهرة، 1995م، ص 131-137.
- cf: Helck., W., "op-cit"., col. 1115.
- cf: Bell, L., "New Kingdom Temples", in "Shafer, B., Temples of Ancient Egypt, London, 1998, p. 128.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم واجبات ومهام الوزير فى مصر القديمة، هو تحقيق الماعت، فهو "رسول ماعت"، كما أنه "كاتب ماعت"، بالإضافة إلى أنه كان يتقلد بتمثالاً صغيراً على صدره الماعت، إشارةً إلى تحقيق النظام الكونى المُتمثل فى ماعت[1] (شكل 3).

ومن فرط أهمية الماعت فى الكون، وكذلك فى تحقيق البعث والنشور للمتوفى، وكفالة الخلود فى العالم الآخر، فإن الفقرة 816 من نصوص التوابيت، تربط تحقيق مذهب الوجود الكونى ماعت، بأداء شعيرة فتح الفم للمتوفى، التى تكفل له الحياة المتجددة، كما يتأكد ارتباط تحقيق الماعت بالبعث والنشور فى العالم الآخر، من خلال الفصل 125 من كتاب الموتى، الذى ظهر لأول مرة فى عهد الملك أمنحتب الثانى، حيث وردت فيه المحاكمة، التى يوزن فيها القلب فى مقابل ريشة الماعت، ليتم تحديد أفعال وتصرفات المتوفى فى الحياة الدنيوية، وإذا ما كانت متفقة مع ماعت، كان يُشار إلى المتوفى بأنه mAa-xrw، أى "مبرأ – صادق الصوت"، ثم يقوده المعبود حور ملك الأحياء فى العالم الآخر، إلى رعاية وكفالة المعبود أوزير ملك مملكة الموتى فى العالم الآخر، ويتقرر له تحقيق البعث والنشور، الذى يكفل له نيل الخلود فى العالم الآخر[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ عصر الدولة الحديثة، قد ارتبطت ماعت بأناشيد وترانيم الشمس، وذلك من خلال الإشارة إلى اتحاد المتوفى برحلة ودورة الشمس اليومية، مما يحقق له الميلاد المُتجدد بشكلٍ سرمدى خالد، ولهذا يقوم المتوفى بتقديم ماعت لمعبود الشمس.

كما ارتبطت ماعت جنائزياً بمعبودة الغرب إمنتت، وقد كانت جبانة طيبة، هى st-mAat، كما أشار المصرى القديم إلى ماعت بأنها سيدة الجبانة،

---

(1)Moret, A., "La doctrine de Maát", in: RdE, 4, 1940, p. 3.
- cf: Helck, W., "op-cit"., col. 1112.
- راجع: جيمس هنرى بريستد: "فجر الضمير"، ترجمة سليم حسن، القاهرة، ط 1999م، ص 157.

(2)Barguet, P., "Le Livre des Morts des anciens égyptiens", Paris, 1967, p. 44.
- cf: Yoyotte, J., "Le Jugement des morts dans L'Egypte ancienne", Paris, 1961, pp. 39-42.
=- cf: Allen, J., "op-cit"., p. 117.
- cf: Teeter, E., "Maát", in: Oxf. Enc. Vol. II, pp. 319-321.
- cf: Ockinga, B., "Ethik and Morality", in: Oxf, Enc. vol. I, pp. 484-487.
- cf: Id, "Piety", in: Oxf. Enc. Vol. III, pp. 45-47.

وسيدة الغرب، حيث اتحدت مع حية الكوبرا لتدافع عن النظام الكونى المُتجدد فى مركب الشمس، فكانت تُمثَّل فى جبهة سيد الجميع nb-r-Dr (أوزير)، أو جبهة حور أو جبهة المتوفى، كما أنها أُعتبرت عيناً للشمس، بالإضافة إلى أنها إتحدت مع المعبودة تفنوت، وبذلك صارت أختاً للمعبود شو، وإبنة للمعبود آتوم، كما أنها كانت زوجة للمعبود جحوتى فى الأشمونين، ومن هنا يبرز الدور الفعَّال لماعت فى كل مجالات الحياة الكونية، فقد إرتبطت بشتى العناصر الرئيسية الفعَّالة فى الكون، من أجل تحقيق النظام الكونى، وكفالة الخلود، والبعث والنشور فى العالم الآخر[1].

وجديرٌ بالذكر أنه قد تم إقرار الماعت، ودرء الفوضى Isft، من قبل المعبود الخالق، حينما أشرقت الشمس فى بداية الزمن الأول sp-tpy، لذا أُطلق عليها إبنة المعبود رع، ويؤكد وجودها وإستمراريتها بقاء النظام الكونى المُتزن، مثلما كان فى بداية خلق الكون فى المرة الأولى sp-tpy[2].. وقد ظهرت العلاقة بين ماعت ورع منذ عصر نصوص الأهرام، فقد ورد فى الفقرة 1582 من نصوص الأهرام، أنه كان لزاماً على الملك القائم على السُلطة، أن يطرد ويدرء الفوضى Isft، وأن يُقر الماعت، ويجعلها قائمة خلف المعبود رع[3].

كما كان الملك يُقدم ماعت إلى المعبود رع فى عيد رأس السنة، حفاظاً على دعائم الحق، والفضيلة، وإقراراً للنظام الكونى المُتزن[4].

وتجدر الإشارة إلى أن ماعت قد ارتبطت بالعديد من المعبودات فى مصر القديمة، مثل المعبود بتاح، وحور، وجحوتى، ورع، وكلهم أخذوا لقب "سيد الماعت" nb-mAat[5].وقد كان لماعت مجموعة من الكهنة من عصر الأسرة الخامسة – على أقل تقدير –، وقد عُرف لها أكثر من 29

---

(1)Helck, W., "op-cit"., col. 1112.
- Moret, A., "op-cit"., p. 1.
- Teeter, E., "op-cit"., pp. 320-321.
(2)Allen, J., "op-cit"., p. 115.
(3) Sethe, K., "PT", 1582.= Sethe, K., "Die Altägyptischen Pyramiden Texte", vols. I-II, Leipzig, 1908-1910.
(4) Sethe, K., "PT", 1773-1775.
(5) Helck, W., "op-cit"., col. 1111.
- cf: Griffiths, J. G., "Isis as Maat, Dikaiosuné, and Iustitia", in: BdE, 106., vol. 3., 1993-1994, fs. J. Leclant, pp. 255-256.

كاهناً، فى المقابر الخاصة فى عصر الدولة القديمة، كان منهم ثلاثة وزراء، أما الباقى فكانوا يعملون فى إدارة القضاء[1].

ويوجد بالمعابد المصرية مشهد مهم إلى أبعد حد، وهو "تقدمة ماعت"، حيث يُلاحظ أن الملك يقدم هيئة معبودة صغيرة الحجم جاثيه، تُعرف بأنها ماعت التى تضع ريشه الحق والعدالة فوق رأسها (شكل 3)، وتتحدث المصادر المصرية القديمة عن المعبودة ماعت، بصفتها مُمثلة ومُجسدة للنظام الكونى المطلق، والتى بدونها وبدون تحقيق الماعت فى الكون لا يتحقق الخلود فى العالم الآخر، ويقول النص:

"يا رع، يا رب ماعت، يا رع أنت التى تعيش فى ماعت، يا رع أنت الذى يحب ماعت، يا رع أنت الذى يتحد مع ماعت، لقد حضرت إليك، وجئتك بماعت، فأنت تعيش فيها، وأنت تبتهج بها، وتتغذى عليها، وأنت تقوى بها، وتتجمل من خلالها، وتتمتع بالصحة من خلالها، إنها تطرح أعداءك أرضاً، ويسعد قلبك بها حين تراها، وتسعد المعبودات كلها حين ترى ماعت".

وهذا النص المصاحب لمشهد تقدمة الماعت من معبد الملك سيتى الأول فى أبيدوس، يوضح أن ماعت تُمثل حياة البشر والمعبودات على حدٍ سواء، فمن خلالها، ومن خلال تحقيق أوجه الماعت على الأرض وفى الكون، يتحقق البعث والنشور والخلود فى العالم الآخر[2]. وهناك أنشودة مُماثله كجزء من شعيرة يومية فى المعبد المصرى القديم، حيث تقول "لقد جاءت ماعت لتكون معك، إن ماعت حاضرة فى كل مساكنك حتى تكون مزوداً بها، إنها الرداء لأطرافك والنسمة المُنعشة لأنفك، إنها طعامك وشرابك، إنها ضرورة لا للمعبودات فقط، بل لكل المخلوقات".

وهناك نص من كتاب البوابات يتحدث عن ماعت قائلاً: "إن الموتى المباركين يعيشون من خلال ماعت مثلما يتغذون بالخبز والجعة"، ويُفهم من ذلك أن ماعت ضرورة ملحة فى الحياة الدنيا، كما أنها وسيلة أكيده من وسائل تحقيق البعث والنشور والحياة المتجددة فى العالم الآخر.

---

(1) Yoyotte, J., "op-cit"., p. 256.
- cf: Helck, W., "op-cit"., col. 1112.
- cf: Lichtheim, M., "Maat in the autobiographies and related studies", Freibourg, 1992, p. 18.

(2) Hornung, E., "Maat – Gerechigkeit fure alle, zur Altaegyptischen Ethik", Eranos Conference Book, N. 56, 1987, pp. 387-427.

ويُلاحظ كثيراً أن ماعت توصف بأنها ابنة رع، ومنذ عهد الملك أمنحتب الثانى، فصاعداً يُلاحظ ظهور ماعت خلف الملك، مثلما تقف إيزيس خلف عرش أخيها أوزير، ولُوحظ أنه منذ عصر العمارنة فصاعداً، وجود ماعت كمخلوق مجنح، تمشياً مع الفكرة الراسخة من أنها توفر الهواء، ومن ثم تمكن الإنسان من التنفس فى الحياة، كما تمكنه من البعث والنشور فى العالم الآخر، وتحقيق الخلود الأبدى[1].

وتُعتبر ماعت من المعبودات الأزلية، فهى قديمة قدم خلق الكون والخليقة، وقد عاشت بين الكائنات المخلوقة منذ خلق العالم. كما أنها تُعد الطفل الأثير لدى الخالق، وتبقى قريبة منه كى تُسامره وتمزح معه وتُحافظ على كينونته، ومن خلال ذلك تمنح العالم كله البهجة والديمومة المكفولة بالحماية[2].

وتتحدث الفقرة 35 من نصوص التوابيت إلى المعبود الخالق أتوم قائلة: "قبل ابنتك ماعت، ضمها إلى صدرك، قربها من أنفك"، وهذا يدل على الدور الفعَّال الذى تؤديه ماعت ليس فقط للبشر أو المعبودات الثانوية، بل إلى المعبودات الخالقة أيضاً، فهى تمنحهم نفس الحياة المكفول بالحماية التى تحقق الحيلولة دون الاندثار، بل تمنحهم الحياة المتجددة دوماً[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ماعت هى أساس النظام الكونى كله، كما أنها أساس لاستمرارية الحياة فى العالم الدنيوى، كما كانت تعبيراً عن التوازن فى النظام الكونى بمعنى أوسع. فإن خلق العالم هو فى جوهرة افتراض وجود ماعت، ومن خلال ذلك يتجلى الفهم لفكرة الخلود السرمدى فى عقيدة المصرى القديم[4].

وتوضح نصوص اليأس من الحياة من عصر الانتقال الأول أن ماعت لابد أن تتحقق فى الكون للحيلولة دون نهاية العالم ونهاية الزمان، ويقول

---

(1)Morenz, S., "Gott und Mensch in alten Aegypten", Leipzig, 1964, pp. 118-140.

(2) Keel, O., "Die Wiesheit Spielt vor Gott"., Göttingen, 1974, pp. 29-39.

(3)DeBuck, A., CT, 35="The Egyptian Coffin Texts", 7 vols., Chicago, 1935-1961.

(4)Assmann, J., "Maát: Gerechtigkeit und unsterblichkeit im alten Aegypten", Munchen, 1990, pp. 59-69.

- cf: Schmid, H., "Gerechtigkeit als Weltordung", Tübingen, 1968, pp. 46-61.

النص: "إن ماعت ضرورة مثل الهواء الذى يتنفسه الناس، إن ماعت نسمة هواء للأنف".

ويقول الفلاح الفصيح فى الشكوى الثامنة، ويستشهد بالكلمات المُذهلة التى صدرت من فم معبود الشمس نفسه قائلاً: "تحدثى يا ماعت، نفذى يا ماعت ذلك، لأنك عظيمة وقوية ودائمة (خالدة)".

ومن خلال الشكوى نفسها يتضح أن ماعت خالدة للأبد، كما أنها تصاحب المتوفى، الذى يطبق الماعت فى آخراه فى مملكة الموت، وتجعل اسمه خالداً فى الأرض، كما أنها تعمل على تحقيق خلود روحه فى العالم الآخر[1].

وتُعبر ماعت عن الانضباط وتطبيق القانون الكونى الأزلى، كما إنها تدل على معيار التوازن الذى يحافظ على استمرارية الحياة فى الحياة الدنيا، والذى بدوره يعمل على تحقيق الخلود فى العالم الآخر[2].

ويترجم Westendorf الفعل mAa على أنه بمعنى "تعطى الأشياء اتجاهاً صحيحاً"، وهو تعريف يسند إلى ماعت دور القائد، أو من يحدد الاتجاه الصحيح، ويقوم بتطبيق أسس الاستقامة الكونية[3].

ويستشهد Anthes بنص من عصر العمارنة يقول:

"إن ماعت تحفظ هذا العالم الصغير معاً، وتجعله فى جزء تكوينى لنظام العالم، إنها بيت حدوث الحصاد، إنها كمال بشرى فى الفكر والكلمة والفعل، إنها القيادة المخلصة للسلطة، إنها وسيلة الملك وقربانة للمعبود، إن ماعت تُحيط بالخليقة كلها وبالكائنات البشرية، والملك والمعبود، إنها تتغلغل فى الاقتصاد والإدارة، والصلوات الدينية، والقانون، وتتدفق كلها معاً

---

(1) Hornung, E., "Maat – Gerechigket fure alle", pp. 400ff.
- cf: Brunner, H., "Altaegyptische weisheit: Lehren fuer das laben", München, 1988, pp. 70ff.

(2) Morenz, S., "Gott und Menchen im alten Aegypten", Leipzig, 1964, pp. 118-140.

(3) Westendorf, W., "Ursprung und Wesen der Maat, Fs. Westendorf, W., in: Studien zur Sprache und Religion Aegyptens, Güttingen", 1984, pp. 687-701.
- cf: Westtendorf, W., "Aegypten Theologie und froemmigkeit einer fruehen Hochkultur", Stütgart, 1984, pp. 11-14.

فى نقطة واحدة للالتقاء. إن الملك يعيش فى ماعت ويحولها لا إلى معبود الشمس الذى هو فوق، ولكن يوجهها إلى رعاياه الذين هم تحت"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن ماعت يتم تقديمها إلى المعبود جحوتى، رب الحكمة وحارس النظام الكونى كله، وهى تُعد زوجته، وتتساوى ماعت مع معبودة واحدة فقط، وهى المعبودة تفنوت، المعبودة الأولى التى انبثقت من المعبود أتوم، حيث خرجت إلى حيز الوجود مثل ماعت وقت خلق الكون sp-tpy.

وتجدر الإشارة إلى أن الوزير، وهو أعلى وظيفة قانونية فى الدولة حينذاك، كان يُسمى "كاهن ماعت"، وكذلك "حارس ماعت"، وهناك نص صادر إلى الوزير من عصر الأسرة الخامسة يقول:"سوف تنجح فى موقفك لو فعلت الماعت" .

وقد أصدر الملك حور محب فى عصر الأسرة الثامنة عشرة بعض المراسيم القانونية الشاملة لعقوبات محددة باسم "ماعت" لكى يطرد Isft الإسفت (الفوضى والظلم)، ويسحق grg أى الكذب والخداع، وتُعتبر ماعت فكرة قانونية شاملة لكل المصطلحات القانونية الأخرى، فهى مرادف للقانون المقدس فى مصر القديمة، ويأتى المتوفى وجهاً لوجه مع ماعت فى محاكمة الموتى، حتى يُثبت براءته، وأحقيته فى نيل الخلود فى العالم الآخر[2].

ويؤكد الوزير بتاح حتب من عصر الدولة القديمة، أهمية ماعت فى أوامره حيث يقول:"إذا وقعت الواقعة فسوف تبقى ماعت، وأنه بفعل ماعت فقط، يمكن أن تُحفظ مقبرة المرء، ويضمن من خلالها الوجود المستمر بعد الموت". وتؤكد هذه المقولة أهمية ماعت ودورها الفعَّال فى الحفاظ على الكيان الكونى المُنظم، وكذلك يضمن المرء من خلالها البعث والنشور فى العالم الآخر، الذى يكفل له تحقيق الخلود السرمدى[3].

---

(1) Anthes, R. "Die Maat des Echnaton von Amarna", Baltaimor, 1952, pp. 100ff.
=- cf: Morenz, S., "Gott und Menchen im alten Aegypten", Leipzig, 1964, pp. 118-140.

(2) Hornung, E., "Maat – Gerechigkeit", pp. 385-427.
- Morenz, S., "Gott und Menchen", pp. 118-140.
- Schmid, H., "Gerechtigkeit", pp. 46-61.

(3) Brunner, H., "Altaegyptische Weisheit", Munchen, 1988, pp. 79ff.

وتُعد ماعت معيار قياس الانضباط، ونقطة توجه، ومبدأ هام فى الكون، حيث يؤكد ذلك الفلاح الفصيح خلال شكواه السادسة فيقول: "إن كل من يقلل من الكذب يُعزز ماعت،ومن يدعم الخير يمحو الشر كالشبع عندما يأتى يقضى على الجوع، والكساء يقضى على العرى، والماء الذى يطفئ الظمأ".

ويتضح مما سبق أن ماعت لها روابط وثيقة الصلة بالمعنى المصرى القديم للاعتدال، والتوازن، والنظام، إن ماعت ما هى إلا مساراً مُعتدلاً يتحاشى المتناقضات، ويتحقق من خلال إقرارها النظام والعدل فى الكون، الذى يضمن البعث للحياة الكونية والطبيعة بصورةٍ مستمرةٍ، كما يضمن المرء من خلال الالتزام بها، أن يتحقق له الخلود فى العالم الآخر، فهى تُعد بحق مظهراً فعَّالاً من مظاهر الخلود السرمدى فى مصر القديمة[1].

سُبل الحفاظ على النظام الكونى في مصر القديمة:

يعمل المجتمع المصرى القديم بكافة فئاته المختلفة، على إرضاء المعبودات، حفاظاً على النظام الكونى، وقد يزعج بعض الأشخاص النظام الكونى عن طريق الخروج، عن مذهب الوجود الكونى – الماعت – وتحاول الفوضى، من خلال باعثيها التدخل فى النظام الكونى الذى وضع وأُقر من قبل المعبود الخالق فى بداية الزمن sp-tpy، وتعمل على إفساد شئون الكون المُنظمة سلفاً، محاولةً إفساد تميز الأشياء، وتعمل كذلك على خلق الضغينة بين فئات الشعب من أجل خلق بواعث الفوضى فى الكون، ولكن حاول المصرى القديم جاهداً كبح جماح هذه البواعث الفوضوية للحفاظ على النظام الكونى المُقر سلفاً، من أجل استمرارية وتجدد الحياة، ومنح فرص حياة أفضل دائمة للكائنات، والمخلوقات تحقيقاً لمبدأ الخلود الكونى[2].

---

(1) Hornung, E., "Maat", pp. 385-427.
- cf: Westendorf, W., "Ursprung und Wesender Maat", pp. 687-701.
- cf: Id, "Aegypten Theologie", pp. 11-14.
- cf: Assmann, J., "Maat", Munchen, 1990, pp. 59-69.

(2) Derchain, P., "Kosmogonie", in: LÄ, III, cols. 747-756.
- Lesko, L., "Ancient Egyptian Cosmogonies and Cosmology", ed. B. Shafer, Religion in Ancient Egypt, London, 1991, pp. 8-22; 88-122.

- عبد العزيز صالح، "فلسفات نشأة الوجود"، مجلة المجلة، القاهرة، كلية الآداب، فبراير 1959م، ص 33-36.

ويحاول الملك جاهداً أن يُقر قواعد النظام المُمثلة فى الماعت، حيث تذكر نصوص الأهرام أن الملك جاء من جزيرة النار، بعدما أقر الماعت (النظام الكونى)، وطرد الفوضى، وهو هنا يُمثل ويُجسد المعبود رع، وتؤدى هذه الشعيرة فى ليلة الفيضان العظيم، حيث يبتهج الخلق، ويصبحون فى عيد وأفراح، لأنهم سمعوا وعلموا أن الملك الأرضى البشرى – نيابة عن رع – قد أدى شعيرة كونية مُقدسة، تعمل على حفظ توازن النظام الكونى[1].

ويقوم المتوفى بدوره مُشابهةً بالملك والمعبود رع، فيعمل على تقديم القرابين على مذبح المعبود شو، ويُقدم الوجات المساوية لماعت فى مقصورة سيد الجميع، والمعبود الأزلى nb-r-Dr – رع -، وبذلك يدرء الفوضى الكامنة، والمترقبة حدوث أى ثغرة تدخل منها وتُفسد النظام الكونى، ويعمل المتوفى على طرد الفوضى، وكل ما يكرهه رع من مركبه حفاظاً على توازن، وتفاعل النظام الكونى، تحقيقاً لمبدأ الخلود الكونى[2].

وتدل النصوص المصرية القديمة على أن الفوضى كانت سابقة على النظام، فكان الكون فى حالة العدم أو اللاوجود iwty; iwtt، ثم جاء المعبود الخالق، وأعاد تنظيم الكون وهذبه وفق شريعة متوازنة، ومن هنا جاءت فكرة الوجود أو الكينونة ntt ، nty، وتجدر الإشارة إلى أن الوجود الكونى ntt، كان من حق الصالحين والطاهرين، أما العدم واللاوجود أو ما وراء الطبيعة فكان عقاب المذنبين، حيث طردهم إليه المعبود الخالق الأزلى nb-r-Dr، من أجل حفظ توازن النظام الكونى[3].

---

(1) Sethe, K., "PT"., 265-265; 1773-1775.
- cf: Frandsen, J., "On the Origin of the Notion of Evil in Ancient Egypt", in: GM, 179, 2000, pp. 9-12.

(2) DeBuck A., "CT"., VI., 267.
- cf: Sauneron, S., & Yoyotte, J., "La Naissance du Mond selon l'Egypt ancienne", Paris, 1959, Sources Orientales, 1., pp. 20-22.

- راجع: يان أسمان: "ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية"، ترجمة زكية طبوزاده وعليه شريف – القاهرة 1995م. ص 100 – 104.

(3) Helck, W., "Die Prohpezeiung des Nfr . ty", Wiesbaden, 1970, pp. 49-58.

- إريك هورننج، "ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد"، ترجمة ومراجعة محمود ماهر، القاهرة 1995م، ص 180-186.

- cf: Urk, VII, 26-27= Sethe, K., "Urkunden des Mittleren Reichs", Leipzig, 1935.

-cf:Urk., IV, 1683, 8-16; 2026, 16-19. = Steindorff, G., "Urkunden des äegyptischen Altertums", IV, Sethe, K., "Urkunden der 18 Dynastie, 1-

وتأكيداً على حفظ التوازن الكونى فإن الملك فى نصوص الأهرام، يثُبت أنه حفظ النظام الكونى بكل مستوياته، وهو بذلك يُجسد المعبود رع، عندما يشرق فيطرد الظلام الذى تكثر فيه الجرائم والفوضى، كما يُشبه الفيضان العظيم، الذى يجدد الحياة ويطرد التحاريق والمجاعات، وهذان المظهران يُمثلان محورا الديانة المصرية القديمة، حيث الاحتفال اليومى بتجدد دورة الشمس (رع) اليومية فى الكون، بالإضافة إلى التجدد والاحتفال السنوى الكامن فى الفيضان (أوزير)، ويهدف ذلك إلى الخلود بكافة أشكاله الزمانية nHH ، والمكانية Dt، حيث تؤكد نصوص الأهرام دائماً على الرغبة فى الحماية الكونية، وحفظ النظام الكونى من خلال طرد الأسفت (الفوضى)، وإحلال وإقرار الماعت (النظام) [1].

وتجدر الإشارة إلى أن المصرى القديم، حاول أن يُدخل بعض الرموز الدينية ضمن أساطيره الدينية، رغبةً منه فى إبراز دور هذه الرموز الدينية المقدسة، فعلى سبيل المثال أعتقد المصريون القدماء أن زهرة السوسن (اللوتس)، تُمثل دوراً هاماً فى المعتقدات الدينية بصفةٍ عامة، وكذلك دوراً هاماً فى حفظ النظام الكونى بصفةٍ خاصة، حيث عبرت زهرة السوسن عن نشأة الكون المُتزن، ويُذكر أنها نبتت من المحيط الأزلى، وكان يجلس بداخلها معبود الشمس الطفل، وتستطرد الأسطورة المصرية القديمة قائلة أن رب الشمس بعد انتصاره على أعدائه، أقر النظام (الماعت) ودرء الفوضى (الأسفت)، ثم أدخل أنفه فى زهرة السوسن ليستنشق رحيقها، تعبيراً عن الراحة بعد الصراع ضد الأعداء، فنتج عن ذلك المعبود نفرتم، أى أن نفس المعبود الخالق، كان روحاً مقدسة كامنة فى زهرة السوسن، ونتج عن ذلك المعبود نفرتم، تعبيراً عن إقرار وحفظ النظام الكونى على الوجه الأمثل[2] (شكل 4، 5، 6، 7-أ، ب).

وقد تعددت الروايات عن هذه الزهرة، فيُعتقد أنها المنى الذى اندفع من المعبود الخالق فكان ميلاد النور والضياء فى الكون، تعبيراً عن الوجه

16", Berlin, 1914; Helck, W., "Urkunden der 18 Dynastie, 17-22", Berlin, 1955-1961.

(1) Sethe, K., "PT"., 265.

- cf: Meurer, G., "Die Feinde des Konigs in den Pyramidentexten", OBO, 189, Göttingen, 2002, pp. 20-21.

(2) Traut, E. B., "Lotos", in: LÄ, III, cols. 1093-1094.

راجع: أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكرى، القاهرة ط1995م، ص 101-103.

المتزن للنظام الكونى فى هيئة طفل داخل زهرة السوسن. وقد تم هذا الحدث تبعاً لأسطورة خلق الكون فى الأشمونين، فى جزيرة النار. ويُعد أقدم أصل لميلاد الطفل من زهرة السوسن، هو ما ورد فى ترنيمة إلى الشمس المشرقة من عصر الرعامسة، حيث تقول: "هذا المعبود القادم من جزيرة النار، الطفل الذهبى، الذى خرج من زهرة السوسن"، وقد نمى فى هذا العصر تصوير المعبودات خاصة رع وآمون فوق زهرة السوسن، مما يدل ويوضح ارتباطها بحفظ وتوازن النظام الكونى، والقوة الخلاقة الكامنة فيها، والتى تعمل بصورة دائبة على حفظ وتوازن هذا النظام منذ إقراره فى بداية خلق الكون، وبداية الزمن الوجودى sp-tpy[1].

ويُعتقد أنه بعد خلق الكون الذى كان على هيئة نون عديم الشكل والملامح، ولكن يُمكن تخيله على هيئة مياه وظلام سرمديين، قد خُلق النظام المُتمثل فى الماعت، وذلك يعبر عن النموذج الدائم الذى أقره الخالق للحياة والنور والظلام، وقد أحضر المعبود الخالق هذه الأشياء من نون، الذى يُمثل مصدر الحياة الخلاقة كلها، فكان بذلك الحدوث المنتظر للوجود ntt، وقد كان لهذا الخلق بداية ونهاية محددة، وأطلق المصرى القديم على هذا الحدث اسم المرة الأولى sp-tpy. وتجدر الإشارة إلى أن المحيط الأزلى نون كان يكمن فيه كل الجوانب الإيجابية والسلبية للخليقة، فبه النظام والعدالة المُتمثلة فى ماعت كجانب إيجابى متزن، خُلقت عليه الحياة، وجُعل به الكون مُسَّيراً، كما إن به الفوضى والظلم والمُتمثلة فى إسفت كجانب سلبى، يمكن أن يُهدد النظام الكونى المتزن. ولهذا يحاول المصرى القديم الحفاظ بكل السُبل والوسائل المُتاحة فى هذا الكون، من خلال إحياء الشعائر الدينية، وتقديم القرابين. وإرضاء المعبودات التى تتحكم فى هذا النظام، لكى تجعله نظاماً مُتبعاً مُقراً فى الكون، تحقيقاً لمبدأ ومذهب الخلود الكونى للخليقة، والمخلوقات الكونية[2] (شكل 3).

---

(1) Ryhiner, M. L., "L'Offrande du Lotus dans le Temples égyptiens de l'epoque tradive", Bruxelles, 1986, pp. 18-21; 197.

(2) Mcbride, D., "Nun", in: oxf. Enc. Vol. II, p. 557.
- cf: Derchain, P., "Kosmogonie", in: LÄ, vol. III, cols. 749-750.
- cf: Sauneron, S & Yoyotte, J., "Lanaissance du Monde", pp. 19-20.
- cf: Kamrin, J., "The Cosmos of khnumhotep II at Beni Hassan", New York, 1999, pp. 3-5.

وترمز الفوضى إلى العدم واللاوجود iwtt، بالإضافة إلى غياب العناصر الفعَّالة المكونة للعالم المخلوق، فهى نقيض النظام والتوازن الكونى، المُعبر عن الوجود والكينونة ntt، وتجدر الإشارة إلى أنه عندما جاء الفيضان عالياً فى عهد الملك أوسركون الثالث، بدون سابقة فى التاريخ المصرى القديم، اعتقد المصريون القدماء أن ذلك يُمثل العودة إلى الزمن البدائى الأول sp-tpy، حيث المحيط الأزلى نون، ونشأة الكون والخليقة والمخلوقات، ويُمثل ذلك ظهور التل الأزلى أو تفريخ البيضة الأزلية، أو تفتح زهرة السوسن، أو الانبعاث الغامض للمعبود الأزلى الخالق، الذى خلق الخليقة والمخلوقات، وتُعبر الحركة الكونية، أو الاستمرارية الكامنة فى النظام الكونى عن المذهب السائد فى كل أساطير خلق الكون[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الفوضى لم تنتهى تماماً من الكون عند بداية الخلق، بل ظلت كامنة ساكنة، غير فعَّالة فى الأشكال البدائية للماء والظلام، وإذا تأكدت هذه القوى العدوانية وتفاعلت فى هيئة معينة مثل هيئة أبو فيس app، كان ذلك يُهدد التوازن والنظام الطبيعى المُندرج فى ماعت، وقد كان ذلك يحدث عندما تضطرب الأوضاع من خلال هجومٍ أجنبى أو ثورةٍ اجتماعية، فتحدث الفوضى وتتفاعل محدثةً اضطراب فى التوازن الكونى، لكن عندما يرتقى العرش ملك مُصلح فإنه يؤدى الشعائر، ويحتفل بالمعبودات ويقيم لهم التماثيل، ويطرد الفوضويين، ويقر القوانين، ويثبت دعائم الماعت، التى تُعبر عن النظام الكونى المُتزن، لذلك يتم تمجيد وتقديس هذا الملك مثل خالق الكون أثناء الزمن الأول sp-tpy ، لأنه حاول جاهداً كبح جماح الفوضى، وإقرار الماعت، والحفاظ على توازن مذهب الوجود الكونى[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه حينما استقر النظام الكونى على يد المعبود الخالق فى بداية الزمن sp-tpy ، ظهر نوعان من الزمن كلاهما يُكمل الآخر، حيث تتميز Dt أنها الزمن غير المحدود المرتبط بالمعبود أوزير، كما يتميز nHH بأنه الاتصال المباشر بالزمن، وهو يعمل على استمرارية حلقات الزمن فى دورةٍ متصلة الأطراف، وكلاهما يُجسد الدورة اليومية للشمس والدورة الشهرية للقمر، والدورة السنوية للفصول، كما أنهما

(1) Sauneron, S., & Yoyotte, J., "op-cit"., pp. 22-23.
(2) Ibid, pp. 26; 77-78.

يعبران عن الخلود السرمدى، والتجدد المُستمر لمعبود الشمس، ويعملان دون عناء على حفظ واستمرارية النظام الكونى المُتزن[1].

ويُمكن تصنيف تسلسل المخلوقات فى الكون المخلوق بدءًا بالمعبود الخالق أول الكائنات، التى استقرت فى الكون والوجود ntt، وقد كان موجوداً قبل الخلق، وقبل الوجود فى مرحلة العدم واللاوجود iwtt، كما إنه كان مسئولاً عن الخلق وإظهار الكون من مرحلة العدم الكامنة فى نون الأزلى، وقد قام بخلق الأرباب والربات، وعلى رأسهم رب الشمس أحد أشكال المعبود رع، الذى كان مسئولاً عن الاتصال والاستمرارية اليومية لدورة الشمس، وقد كان تجسيداً للمعبود الخالق. أما باقى المعبودات فكان دورهم يؤكد الحركة الفعَّالة للكون، ويعملون جاهدين على حفظ مذهب الوجود الكونى المُنظم الكامن فى ماعت. كما أنهم قاموا بكبح جماح الفوضى، وجعلوها ساكنة غير فعَّالة. ثم يأتى الملوك والحكام الذين قاموا بدور المعبود حور على الأرض، فهم يُقرون النظام الكونى، ويُحافظون على اتزانه إرضاءًا للمعبودات، ويأتى النبلاء بعد الملوك فى التسلسل، وهم مسئولون عن العدل الإدارى، فهم يُجسدون الملك فى مقاطعاتهم ووظائفهم، مثلما جسد الملوك المعبودات من قبل[2].

وهكذا كانت لحظة الخلق مُعبرة عن توزيع المهام والمسئوليات، وتُسمى هذه اللحظة فى اللغة المصرية القديمة m hAw nb-r-Dr بمعنى "عهد – عصر السيد الأزلى"، وهى فترة مُعبرة عن بداية الخلق، وهى تُعتبر لحظة إقرار النظام الكونى، وتحديد الحدود، والواجبات التى سوف يسير وفقها الكون فى نظام دائم ومتصل الحلقات، ويقوم كل المخلوقات بالعمل الدؤوب على حفظ هذا النظام الكونى دون تغيير، أو تعديل لأنه ما أقره الخالق منذ بداية الخليقة sp-tpy[3]. وبذلك يتضح أن الهدف

---

(1) Assman, J., "Ewigkeit", in: LÄ, vol. II., col. 48.
- Kamrin, J., "op-cit"., p. 4.
- cf: Helck, W., "Maat", in: LÄ., vol. III, cols. 1116-1117.
- cf: Allen, J., "Middle Egyptian, An Introduction to the Language and Culture of Hieroglyphs", Cambridge., 2000., p. 104.
- cf: Sauneron, S., & Yoyotte, J., "op-cit"., p. 78.

(2) Kamrin, J., "op-cit"., pp. 7-10.

(3) cf: Grimal, N., "Le Terms de la Propaganda Royale Égyptienne de la 19me dynastie á la coquette d'Alexandre", Paris, 1986, pp. 45-56.
- cf: Zabkar, L., "A study of the Ba concept in Ancient Egyptian Texts", SAoC 34, 1968, p. 5.

الذى خُلق الملك من أجله، هو مهمة الحفاظ على توازن مذهب الوجود الكونى، وإقرار دعائم النظام المُتبع منذ بداية الخلق إلى ما شاء الخالق[1].

وسائل وسُبل تحقيق الماعت فى مصر القديمة:

كانت هناك قوى كونية تنظم سير الزمن من خلال العبور من الليل إلى النهار والعكس، ومن الضوء إلى الظلام والعكس، وهى التى تتحكم فى قدوم الفيضان كل عام، وتُعتبر هذه القوى مصدر خطر حيث يمكن أن تُهدد بحدوث خطأ فى سير الزمن وبالتالى تتغلغل الفوضى فى الكون وهذا ما يخشاه المصرى القديم، فهذا يُنبئ بتوقف الزمن مما يعنى نهاية العالم ونهاية الزمن، وقد كان يخاف من هذا الخطأ ويشعر به فى نهاية العام أثناء انقطاع فترة أيام النسئ حيث تصف الكارثة التى كان يخشاها فى بداية بردية Salt "825" حيث تقول فى بدايتها "شعيرة للاحتفاظ بالحياة فى مصر"، مما يعنى درءًا للفوضى isft وإقراراً للنظام mAat تحقيقاً لاستمرارية الزمن والحياة فى الكون[2]، وقد هدد المعبود رع فى رحلاته الأخروية أن يُنهى الزمن والكون عن طريق كارثة كونية، ويرجع العالم كما كان فى البداية حيث حاله الفوضى (الأسفت) [3]، ولهذا حاول المصرى القديم جاهداً ليحافظ على نظام الكون ودورة الزمن الكافلين للحياة الاستمرار على الأرض، فقام بتقديم القرابين للمعبودات فى كونها الصغير ألا وهو المعبد الذى يُمثل الكون حسب معتقدات المصرى القديم، وأقام الشعائر المختلفة حفاظاً على الكون والزمن[4].

ومن المُلاحظ أن النظام (الماعت) الذى خلق المعبود الخالق الأزلى عليه الكون يتمثل فى محورين من محاور الديانة المصرية القديمة، وهما

- Anthes, R., "maa-xrw, in: JNES, 13, 1959, p. 37.

(1) Baines, J., "Society, Morality and Religious Practices". (ed. B. Shafer, Religion in Ancient Egypt, London, 1991, pp. 127-129.
- cf: Grieshammer, R., "Gott und des Negative nach Quellen der Ägyptischen Spätzeit", in: Aspekte der Spätagyptischen Religion, Wiesbaden, 1979, p. 87.
- cf: Kamrin, J., "op-cit"., p. 8.

- يان أسمان، المرجع السابق، ص 119.

(2) Derchain, Ph., "Papyrus Salt 825 (BM 10051), Ritual Pour La Conservation de La Vie en Egypte", Bruxelles, 1965, p. 137.

(3) Meurer, G., "Die Feinde des Königs in den Pyramidentexten", OBO 189, Göttingen 2002, p. 20f.

(4) Wilkinson, R., "Symbol and Magic", London 1994, p. 36, 67.

الخلود الزمنى nHH، والسرمدية المكانية Dt، لذا حاول المصرى القديم بكامل قوته أن يُسيِّر هذا النظام ويُحافظ عليه ويحول دون أن تحل الفوضى (الأسفت) محل النظام (الماعت) [1].

وكان المصرى القديم يتقرب للمعبودات بتقدمة الماعت، حيث كانت الماعت هى طعام المعبودات، وهناك نص من عصر الدولة الحديثة يقول "طعامك ماعت، وشرابك ماعت، وخبزك ماعت، وجعتك ماعت، وزينة رأسك ماعت وملابسك ماعت، ونفس أنفك ماعت"، ويوضح هذا النص أن كل القرابين المُقدمة للمعبودات من أجل الحفاظ على النظام الكونى ودورة الزمن هى أيضاً تتمثل فى النظام (الماعت) [2]، وكانت الماعت منذ عصر الدولة القديمة جزءًا من الألقاب الملكية، وفى عهد الرعامسة أصبحت جزءًا من ألقابهم، حيث صور ملوك الرعامسة وهم يقدمون ألقابهم المُتضمنة ماعت إلى المعبودات كنايه عن تقدمة الماعت ضماناً للمحافظة على الكون ودورة الزمن الخالدة[3]، وكان السحر بمثابة القوى الكونية التى لجأ إليها المصرى القديم دفاعاً عن كونه ضد الكوارث والفوضى وحفاظاً على الحياة ودورة الزمن والخلود والسرمدية المنشودة[4].

الكون واستمرارية دورة الزمن الكافلة الحياة على الأرض، وحاول اتقاء شر تهديدات المعبود الخالق فى الفصل 175 من كتاب الموتى الذى ينص على أن الأرض سوف تعود لحالتها الأزلية كفيضان (نون)، وسيتحول المعبود أتوم إلى ثعبان لا يعرف البشر اسمه ولا تراه المعبودات، وسيظل باقياً مع المعبود أوزير حاكم العالم الآخر حسب معتقدات المصرى القديم[5]،

---

(1)عبد العزيز صالح، فلسفات نشأة الوجود، ص 33 وما بعدها

- Derchain, Ph., "Kosmogonie", LÄ III, cols. 747-756.
- Jacq, Ch., "Le Voyage dans L'autre monde selon l'Egypte ancienne", Monaco 1986, p. 93

(2)Smith, H., "Máat and Isft", BACE 5, 1994., p. 78f.

(3)Teeter, E., Maat, in: Oxf. Ency. II, pp. 319-321; Helck, W., Maat, LÄ III, cols. 1112ff;
- Bleeker, J., "Hathor and Thoth two key figures of the Ancient Egyptian Religion", Leiden, 1973, p. 138f;
- Menu, B., "Le tombeau de pétosiris II, Máat, Thot et le droit", BIFAO 95, 1995, p. 281f.

(4)Rinter. K., "Magic", in Oxf. Ency. II, p. 321
- Borghouts, J., "Magie", LÄ III, cols. 1141-1146.

(5)Allen, G., "The book of the Dead", Chicago, 1974. p. 184

ويُشير هذا المضمون السابق لنهاية الكون والزمن حيث تعود الأرض للفوضى الأولى (الإسفت) ثم يتحول أتوم لثعبان، مما يدل على أن هيئة المعبود الأزلى فى بداية الخلق ونهايته كانت هيئة ثعبانيه[1]، وكذلك يُلاحظ فى نصوص إسنا صدى لفكرة الفصل 175 من كتاب الموتى، وذلك من خلال الحديث الموجه للمعبودة نيت بوصفها المعبودة الأزلية الخالقه هناك، حيث يقول النص "فلتمضى الفترة الأزلية للأزمنة nHH وDt أمام وجهك" وفى هذا إشارة لنهاية الكون والزمن[2].

مفهوم "الإسفت" Isft (الشر والفوضى الكونية) :

كان تمرد البشر هو أساس وجود الشر فى الكون، فضلاً عن كون الشر (الإسفت) عنصراً سابقاً على هذا الوجود، حيث أخمدها الإله الخالق، ويبدو أن هذه الإسفت كانت من العناصر التى لم يتم تمييزها لحظة الخلق، فالأشياء التى تميزت أصبحت ماعت (مستقرة واضحة)، أما تلك التى لم يتم تمييزها فقد أصبحت إسفت (فوضوية وغامضة) [3].

وللإسفت معانى أكثر شمولية، فهى الشرور بوجه عام؛ فكلمة "شر" يكتنفها جميع معانى الفساد والظلم والزور والكذب والتمرد والعصيان والفوضى والذنب والقتل والجريمة والكفر؛ وتُعد الإسفت ترجمة شاملة لجميع هذه المعانى والكلمات، فهى كمفهوم كونى تُمثل "الفوضى والعدم، وعدم قابلية الكون للكينونة قبل سيادة الماعت"، وهذا يُعد شراً. وهى كمفهوم سياسى تُمثل "التمرد والعصيان والثورة على الحاكم وتغلغل العناصر الأجنبية وتفكك الأقاليم والصراعات الداخلية بينهم" وهذا يعد شراً، وكمفهوم اجتماعى فهى تُمثل "الانحلال الاجتماعى والظلم والطغيان، وعدم التكافل الاجتماعى، والتفكك الأسرى"، وهذا أيضاً يُعد شراً، وكمفهوم

- Naville, E., Tb., 175, pl. CXCVIII = Naville, E., "Das Ägyptische Totenbuch der 18-20 Dynastie", 3 vols., Berlin 1886.

(1)Barguet, P., "Livre des Morts", p. 261, Not. 12

- Sethe, K. "Atum als Ichneumon", ZÄS 63, 1928, pp. 50-52

- Kees, H., "Der Götterglaube im alten Ägypten", Berlin, 1956", p. 55

- Kees, H., " Totenglauben und Jenseits vor stell ulngen der alten Ägypter ", Leipzig, 1926, p. 293.

(2) فرانسواز دوتان، الآلهة والناس فى مصر القديمة، ترجمة: فريد يورى، مراجعة: زكية طبوزاده، القاهرة، ط 1997م.، ص 86.

(3)CT., VII, 461ff.

أخلاقى تُمثل "الذنب والكذب وقول الزور والزنا والقتل والسرقة"، وهذا أيضاً يُعد شراً.

وإذا كانت الماعت – كما سبق – هى الخير كله بجميع معانيه، ولا يمكن ترجمتها بكلمة محددة، فإن الإسفت ينطبق عليها نفس الكلام، فهى تُعبر عن أقوى نقيض للماعت، وهى الشر بجميع معانيه، وبالتالى لا يمكن ترجمتها بكلمة واحدة مُحددة، وعليه فمن الأفضل وضعها فى النص بشكلها الكتابى "الإسفت" مع بيان مفهومها.

ويمكن تحديد مفهوم الإسفت فى المصادر اللغوية المصرية القديمة، وإن كان هناك بعض المصادر حملت الإسفت فيها أكثر من مفهوم، ويدل هذا على نتيجة مهمة هى تطور معانى الإسفت؛ فهى شئ سابق على الخلق يدل على الفوضى وعدم القابلية للكينونة والاستقرار (مفهوم كونى)، ولكن ببزوغ الشمس (الإله الخالق) طُردت الإسفت وحلت محلها الماعت، وعُرفت الأشياء وتحددت معالمها، وخُلق الناس ولم يأمرها خالقهم بفعل الإسفت[1]، ولكن قلوبهم عصت أمره فتمردت عليه وهو خالقهم وحاكمهم فى نفس الوقت (مفهوم سياسى)، وبذلك انتقل المفهوم من المستوى الكونى إلى المستوى السياسى (الثورة ضد الحاكم رع فى إشارة إلى نجاة البشر من الهلاك).

كما انتقل المفهوم ليصبح اجتماعياً لأن الناس تعارفوا على الخير والشر، فأصبح كلاهما له حدود اجتماعية يحددها العُرف: هذا حلال وهذا حرام، وأن من يتعد هذه الحدود يستوجب عليه العقوبة، ويُعد بذلك "إسفتى" (خاطئ ومذنب وشرير ومتمرد)، أما من يحفظ هذه الحدود فهو تقى يستحق الإثابه والخير، ويُعد بذلك "ماعتى" (تقى وخيِّر وصالح). وبذلك تعمَّق الشعور (الأخلاقى) لدى البشر بعد هذه السلسلة من المفاهيم ليصبح مفهوم الإسفت مُعبراً عن الذنب الذى هو شئ غير مشروع يرتكبه المرء[2].

وكل هذه المفاهيم تدور فى دائرة واحدة مُلخصها "أن البشر هم الذين ادخلوا الإسفت إلى الكون المُنظم"، فالإسفتيو (الأشرار من البشر) ما هم إلا تجسيداً لـ "أبوفيس" عنصر الظلام الفوضوى السابق على الوجود، وما هم

---

(1) CT VII 461-467.

(2) عبد الحليم نور الدين " الديانة المصرية القديمة- الفكر الديني "ج3,القاهرة, 2009, ص507-509.

إلا "ست" الذى تسبب فى وجود الموت حتى ينتهى الخلق الذى أرساه "آتوم – رع"[1]، وبذلك يعود الكون إلى حالته الأولى بسبب البشر، فأبوفيس وست (الإسفتيو)، ما هما إلا سابقاً للكون وتالٍ عليه، أحدهما يُمثل الفوضى قبل الخلق والآخر أعاد الكون إلى هذه الفوضى بقتله أخيه "أوزير"[2].

ولأن الآلهة تُميز الماعت عن الإسفت[3]، ولأنها خالية منها[4]، فإنها قد حرمت[5] الإسفت على نفسها فأصبحت توصف بـ bwt-isft[6] وجعلته مُحرماً على الناس[7]، وبذلك ارتبطت الإسفت بالـ (bwt) ولازمتها فى معظم المصادر اللغوية المصرية القديمة، وقد شملت الـ (bwt) بذلك عدة أنواع من المُحرمات (أطعمة – صوت مرتفع – نجاسة ...)، كما عبرت عن تحريم الإسفت بمعظم مفاهيمها (النجاسة والذنب[8]، والمفهوم الكونى عند الخلق[9]، والفناء والدمار[10]، والكذب[11]، وسوء الخلق[1]، والمفهوم السياسى[2]).

---

(1) cf: BD 175. = Faulkner, R. O., "The Ancient Egyptian Book of the Dead", New York, 1985.
= also: Budge,W, The Book of The Dead, The Chapters of Coming Forth by Day, 3vols, London 1898.

(2)عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق" ص 508-509.

(3) cf: BD 168a.

(4) cf: BD 72. 1-2.

(5) cf: Topmann.,D, Die" Abscheu" Spruche der altagyptischen Sarg-Texte., Wiesbaden.2002,pp. 48-60.

ـ حيث يُفسر كراهية المتوفى للمحرمات أنها ما يكرهه الآلهة مثل "آتوم" و"نون" وعين حورس و"جحوتى" وغيرهم، وأن المُحرمات والاثام والشرور مرتبطة بالإله ست.

(6) cf; BD 126, 7; 182, 2-4.
- *El-Sayed,R.*, Mots et expressions évoquant l'idee du lumière,in : ASAE. 71,1987, p.90.

(7) cf: CT III 297; IV 62; VI 96f; 165; 136; VII 2f; 226; BD 85. 3-5; 153b. 13-14; Urk. IV, 504f; 835. 11-14; 944. 11-12; 1087, 14-15; 1590; 1627; 1803 (BM 632); 1947; 2100.
-KRI, V., 42. 12-13; 640; = Kitchen, K. A., "Ramesside inscriptions, Historical and Biographical", 6 vols., oxford, 1970.
- Gaballa, A. G, "Three Funerary stelae from the New Kingdom", in: MDAIK, 35, 1979, pp. 77-78.

(8) CT III 297; VI 136; 165; VII 226; BD 126; Urk, IV, 505; 944; 1078.

(9) CT IV 62; BD 85; 153b; 182.

(10) CT VI 96; VII 2.

(11) Urk IV, 835; ASAE 71, p. 90; KRI, V, 640.

ويُلاحظ ارتباط عبارة (bwt isft) بعبارة (ir mAat) فى معظم النصوص الواردة، مما قد يدل على عملية الخلق الأول، فالإله الأول قد خلق ماعت، وهو يمارسها وحرم الإسفت وجعلها مكروهةً، ويؤكد ذلك وجود فعل mAA الذى يعنى الرؤية والشهادة فكأنه رأى الإسفت لحظة خروجه من المياه الأزلية، وكذلك وجود كلمة iwtt العدم، وهى كلمة مهمة هنا فهى قد تدل على اللاشئ أو العدم السابق للوجود والموصوف بأنه إسفت (فوضى) [3].

لذا يمكن ترجمة كلمة (bwt) بالمُنكر أى ما أنكره الإله ثم المجتمع ثم القلب، فتصبح الإسفت "مُنكراً" يجب الابتعاد عنه، كما تُترجم "ماعت" بالـ "معروف" وهو ما عرفه الإله ثم المجتمع، وأصبح مطلوباً من المرء أن يسير عليه؛ وهاتان الكلمتان[4] "المنكر" و"المعروف" متناقضتان تماماً مثل تناقض "الإسفت" و"الماعت"[5].

الاشتقاق اللُغوى للأسفت Isft:

اختلفت الآراء حول الاشتقاق اللغوى لكلمة (إسفت)، فيُعتقد أنها قد ترتبط بالكلمة العربية "زيف" مع إبدال للحروف؛ ويرجعها على فهمى خشيم[6]، للجذر العربى "أسف"، والذى من أهم دلالاته: الحزن والغضب والندم الذى لا يكون إلا على خطأ أو شر مُرتكب، أو أنها من الفعل "آسف" الذى يدل على المعصية فى قوله تعالى:

"فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين"[7]

ويعتقد "Sethe" ويتفق معه "Zandee" أن كلمة إسفت مُشتقة من الفعل (isf) الذى يعنى "يبلى أو يهلك"، وأن لها مخصص القماش البالى، وأن الفعل السببى لها هو (sisf) الذى يساوى (sHtm)، وأن

---

(1) Urk IV, 1803.
(2) KRI, V, 42.
(3) CT VI 136.
(4)تتشابه هذه الفكرة فى مصر القديمة مع ما ورد فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة منها قول لقمان لابنه وهو يعظه "يا بُنَى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر" سورة لقمان, الاية 17.
(5) عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق" ص 508-510.
(6)على فهمى خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، القاهرة 1996، ص 293.
(7) القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية 56.

كلمة إسفت – حرفياً – تعنى ما هو هالك وبال وسخيف وركيك ومُهلهل[1]. هذا وإن كان الفعل (izf) ، وقد ورد فى نصوص الأهرام[2]، للمرة الأولى والأخيرة، ويعنى "يُسئ ويُخطئ"، ويُلاحظ هنا أن مكونات الفعل هى نفس مكونات الكلمة izft فى نصوص الأهرام مما قد يؤكد الربط بينهما[3] ،حيث يذكر النص ما يلي:

Wsir Wnis ibA n izf Gb m iwa.f iwa

"يا أوزير ونيس أرقص، فلم يُخطئ (يُسئ) جب مع وريثه الشرعى (أوزير)" [4]

وجديرٌ بالذكر أن الاسم هو (izft, isft) وينتهى فى أغلب الأحوال بتاء تأنيث وأحياناً قليلة بدونها، مثله فى ذلك مثل الماعت، ويعتقد "زيته"، أن هناك علاقة بين (isft وzsf)، التى تعنى "قماش بال"، وأن المخصص هنا – بالنسبة لـ isft – ليس لفة البردى كما قصد "إرمان"، وإنما "قماش بال"[5]. ويُعبر الشكل الكتابى (isfty وisfy) – الذى يُمثل كلمة isft مضافاً إليها ياء النسب – عن فاعل الإسفت أو المُنتمى إليها الذى هو العاصى والمُذنب والمُخطئ، وهى صفة تُماثل xfty وغيرها[6].

---

(1) Sethe, K., "Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten", vol. II, Hamburg, 1936,p. 267.
- Id., Dramatische Texte zu Altägyptischen Mysterienspielen, Leipzig 1928, p.216.
- Zandee, J., Death as an Enemy according to Ancient Egyptian conceptions, Leiden 1956, 44.

(2) Sethe.,K.,PT. 80.
- cf; Maspero, G., La pyramided u roi Ounas,in: RdT 3, 1881,p. 192.

(3) عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق" ص510-512.

(4) Sethe.,K.,PT. 80.
- cf; Maspero, G., La pyramided u roi Ounas,in: RdT 3, 1881,p. 192.

(5) Sethe, K., Übersetzung , p. 267;
- Id., Dramatische Texte,p. 216.

(6) cf; EG§§ 79-81. = Gardiner, A. H., "Egyptian Grammar", London, 3rd. ed. 1973.

وكان يتم الإشارة لفاعل الأسفت فى بداية الأمر بدون ذكره صراحة، كما فى: "وإنها الإسفت هى التى يفعلوها بالاعتماد عليها"[1]، ثم ذكر الرجل القنوط "إيبووور"[2]، الإسفتيو على أنهم "فاعلو الإسفت irw isft"[3]، ثم استغنى الكتبة عن هذا التركيب بإضافة ياء النسب للإسفت لتصبح isfty(w) التى استمرت بعد ذلك فى نصوص التوابيت[4] وما تلاها من المصادر المصرية القديمة [5].

الماعت والإسفت مقياسان للخير والشر في مصر القديمة:

دائماً ما يسمع المرء عن الاطمئنان إلى "محو الذنوب" اعتماداً على رحمة الآلهة، وتتفاقم الذنوب بسبب ضعف الناس وقصورهم فى المعرفة والقوة، إنه "جاهل من لا يعرف ولا يفهم ما هو الخير وما هو الشر"، وتشير تعاليم "آمون إم أوبت" إلى هذا المجال بشدة[6]، حيث إن لكل شئ معيار ومقياس يحدد مقداره ومداه، حتى السلوك يمكن الحكم عليه بالخيرية والشرية. ومن خلال المصادر المصرية القديمة قد أمكن تحديد أربعة محاور أو مقاييس للخير والشر (ماعت وإسفت)، لوحظ فيها أن ماعت وإسفت هما وحدتا القياس وهمها المبدءان الرئيسيان للأخلاق، وقد اجتمعت هذه المحاور (الآلهة – الملك – المجتمع – الضمير) فى وصفها بأنها "تمقت الإسفت وتحب الماعت"[7].

وتؤكد بعض العبارات مثل: "لقد عدت من مدينتى بفضل الملك، وعرفت ما يكرهه الآلهة"، وذلك بفعل ماعت "وعدم فعل الإسفت"[8]، و"فعلت ما يقوله الناس، ويرضى به الآلهة"[9]، و"فعلت ما يمدحه الملك،

---

(1) Gardiner, A. H., The Admonitions of an Egyptian Sage (from a hieratic Papyrus in Leiden 344 recto), Leipzig 1909,pp. 41f.

(2) Helck,W., Die Lehre für König Merikare, Wiesbaden1977, pp.79-82; cf: CT IV 63.

(3) EG, §354.

(4) CT IV 253.

(5) عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق" ، ص. 512-514 .

(6) Bonnet. H, Sünde, in: RÄRG = "Realexikon der ägyptischen Religion geschichte", Berlin,1953. P.761.

(7)عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق"، ص. 512-514 .

(8) KRI III, 367, 12-14.

(9) BD 125A (1.7-10).

ولم أفعل ما يُحرمه (يكرهه) الآلهة"[1]، و"فعلت ما يحبه الناس ويرضى عنه الآلهة وما يمدحه ملك عصرى، ولم أهمل فيما أمرنى به، ولم أفعل الإسفت ضد البشر"[2]، ولعل هذه العبارات تلخص المحاور والمقاييس التى تُحدد للمرئ "هذا حلال وهذا حرام" أو "هذا ماعت وهذا إسفت" وتأمره بالتصرف طبقاً لهذه القاعدة[3].

الإسفت أوالفوضى السابقة على الخلق والخليقة:

يُلاحظ انه حتى الشخص العادى (على المستوى الأخلاقى) قد يزعج النظام الكونى، وذلك بالخروج عن مذهب الماعت وارتكاب الإسفت، لذا تُمثل الإسفت وقواها خطراً يُهدد النظام الكونى، وبيت للقصيد هنا هو التطرق لمفهوم الإسفت التى سبقت الماعت (النظام الكونى)، وتحاول التدخل فى شئونه وإفساده، مع الإشارة أو التطرق للمرة الأولى للخلق، وهى اللحظة التى وُضعت فيها الماعت مكان الإسفت وتميزت الأشياء، وكذلك كيفية الحفاظ على النظام الكونى، فالماعت والإسفت أشمل كلمتين للخير والشر المتناقضتين[4]،حيث ورد ذلك فى أقدم مصدر يُمثل العلاقة بينهما[5]، "جاء الملك من جزيرة النار بعد أن وضع فيها الماعت فى مكان الإسفت"، وهو هنا – نيابة عن "رع" – يؤدى هذه الشعيرة فى ليلة الفيضان العظيم[6]، حيث يبتهج الناس ويصبحون فى عيد وفرحة لأنهم سمعوا أن الملك الأرضى البشرى يؤدى شعيرة كونية إلهية تحفظ النظام الكونى. ويمكن استنتاج أن هذه الشعيرة ترتبط بالخدمة اليومية فى المعبد المصرى[7]، وتتفق معها فى الهدف والخطوات، حيث يتطهر الملك هنا على يد (ir-st.f) (ربما أوزير صانع عرشه) [قبل الدخول إلى المعبد وهو فى بيت الصباح pr-dwAt]، ثم يصعد إلى رع، [مثلما يصعد الكاهن فى المعبد على درجات

---

(1) Urk. IV, 490-491.

(2) Urk. IV, 1776.

(3) عبد الحليم نور الدين " المرجع السابق"، ص. 512-514 .

(4) *Frandsen,J.P.*, On the Origin of the Notion of Evil in Ancient Egypt, in: GM. 179, 2000. p. 12.

(5) Sethe.,K.,PT 264-265; 1773-1775.

(6) راجع: نصوص الأهرام الفقرات (1773-1775) "فى أول يوم من العام (= ليلة الفيضان العظيم). العظيم).

(7) راجع: سيد توفيق، تاريخ العمارة فى مصر القديمة، الأقصر، القاهرة ط 1990، ص 83-101. وكذلك : تحفة حندوسة، الخدمة اليومية فى المعبد المصرى فى الدولة الحديثة (ماجستير غير منشورة)، القاهرة 1967، ص 145-147.

السلم حتى يصل إلى قدس الأقداس الذى يسكنه الإلـه]، ثم يفتح المقصورة لحظة شروق الشمس، وبذلك يطرد الظلام ويُنير الكون حتى تتضح معالمه وتتحرك فيه الأشياء، وهى أشياء عملها الإله الخالق (رع-آتوم) فى المرة الأولى (sp-tpy) ، وبذلك يكون قد وضع الماعت مكان الإسفت التى طردها إلى الخارج[1].

دراسة تحليلية مقارنة لأسبقية الاسفت علي الماعت:

يتضح مما سبق أن الإسفت سبقت الماعت والخلق، إذ كانت الفوضى تسود قبل الخلق وتضمنت بداخلها القدرة على الخلق[2]، ولعل من أهم الأدلة التي تؤكد ذلك مايلي:

1- يدل استخدام التعبيرات (wdi mAat m st) (izft الذى ورد فى نصوص الأهرام على وضع ماعت مكان الإسفت[3]، وليس عودة الأمور إلى ما كانت عليه مثلما ذكر نفرتى في تنبؤاتة أن :

(mAat ii.ty rst.s isft dr.sy r rwty) "عودة ماعت إلى موضعها وطرد الإسفت"[4]، وكذلك"خنوم حتب" حينما قال مايلي : (dr isft) "طرد أو درء الشر"[5]. كما أقر أقر ملوك عصر الدولة الحديثة على ما يلي: (sHtm isft smn hpw mi sp tpy) "تحطيم الإسفت وإقرار القانون مثل الزمن البدائى"[6] ،كما أضافوا ما يلي:

(dr isft.. mAat mn.ty m st.s mi sp tpy) "طرد الإسفت وإقرار الماعت فى مكانها مثل الزمن

---

(1) يرى يان أسمان أن الماعت سابقة فى الوجود مع آتوم. راجع: ، يان أسمان: مرجع سبق ذكرة ، ص 103-104

(2) Sauneron, S., & Yoyotte, J., "La naissance du Mond selon l'Egypt ancienne", Paris, 1959, Sources Orientales, 1., pp. 20-22.

(3) تُمثل جزيرة النار مكان نشأة الوجود.

(4) Helck,W., Die Prophezeiung des Nfr. Ty, Wiesbaden 1970,PP.49-58.
- إريك هورننج، ديانة مصر الفرعونية، ص 180-186.

(5) Urk, VII, 26f.

(6) Urk, IV., 1683., 8-16.

البدائى"[1]، وربما قد يشيروا بذلك إلى ما حدث وفق ما جاء فى فقرة نصوص الأهرام.

2- إن استبدال الإسفت بالماعت يعنى أسبقية الإسفت، فمن الناحية اللُغوية المُستبدل به (الأول فى الجملة)، يلى فى الترتيب الزمنى المُستبدل منه (الثانى فى الجملة)، وإذا كانت ماعت هى ابنة رع (دستوره)، وقد خلقها من ذاته، ليجعلها بديلاً عن ابنته البعيدة فى أسطورة نجاة البشر من الهلاك (أنوريس)[2]، فإذا كان الأمر كذلك و"رع" جاء من العدم الذى سبق الخليقة فكيف للماعت المخلوقة أن تسبق الإسفت التى تصف حالة العدم غير قابل للسكنى؟! ، كما أنة كيف للابنة أن تسبق أباها وخالقها؟!.

فصل الماعت عن الإسفت ونشأة الكون والكينونة:

لقد كان من الصعب فصل الأسطورة عن السياسة، فهما وحدة متكاملة يُمثل فيها الملك عاملاً مشتركاً فعَّالاً؛ ولعل ما يؤيد ذلك هى النصوص التى وردت بها ماعت وإسفت مثل لوحة اللوفر (20) من عصر الدولة الحديثة، والتى تتحدث عن حال البلاد تحت حكم "ست" أو أثناء نزاعه مع "حورس"، حيث سادت الإسفت (فوضى سياسية) لأن العرش خالٍ من حاكمه الحقيقى الذى يحكم البلاد ويحفظ النظام[3]. ويبدو أن لهذه الأحداث الأسطورية بُعد سياسى يتضح من التعبيرات الواردة بالنص؛ حيث ينهج الملوك الذين هم يمثلون "حورس" على الأرض نفس نهج "حورس" وذلك وفقاً سنة "رع" الخالق، الذى أقر الماعت مكان الإسفت فى جزيرة النار، فالملوك يطردون أيضاً الإسفت عن الأرض ويُثبتون كل القوانين (ماعت) التى أقرها الإله. وهو أمر يؤكده كل من أمنحتب الثالث، الذى اعتبر ذلك واجباً يؤديه تجاه مصر مثلما حدث فى المرة الأولى sp-tpy[4]، و"توت عنخ آمون"، الذى يضيف على ذلك أن الأرض (مصر) أصبحت كما كانت فى حالتها (لحظتها الأولى)[5]، ويؤد على ذلك قول "خنوم حتب الثانى"، من الأسرة عصر الثانية عشرة، والذى شبَّه ملكه – عندما طرد

(1) Urk. IV, 2026, 16-19 (CG 34183).
(2) Bleeker, J., "Hathor and Thoth two key figures of the Ancient Egyptian Religion", Leiden, 1973., pp.122ff.
(3) Moret,Alex., La légende d'Osiris à l'époque Thébaine d'après l'hymne à Osiris du Louvre, in: BIFAO 30, 1930, pp. 746f
(4) Urk, IV, 1683 (8-16).
(5) Urk, IV, 2026 (16-19).

الإسفت – بآتوم الخالق[1]. والأهم من ذلك هو أن طرد الإسفت وإقرار الماعت انتقل من الآلهة والملوك إلى الأفراد[2]، الذين يؤكدون على ذلك بأنهم يفعلون ما يمدحه الملك والآلهة كل يوم، ولم يأكلوا ما حرمته الآلهة، كما صارت نصوص الأهرام للأفراد حقاً مُكتسباً فى كتاب الموتى، رغم اختلاف الهدف منها[3]. وقد اعتقد المصريون وفقاً لأساطيرهم أن العالم قبل الخلق كان يحتوى على نون عديم الشكل، ولكن يمكن تخيله على هيئة مياه وظلام لا نهائيين[4]، وقد جئ بالماعت عند الخلق إلى الوجود فهى النموذج الدائم للحياة والنور والظلام، وأحضر الخالق هذه الأشياء من نون مصدر الحياة كلها "الحدوث المنتظر للوجود"، وكان لهذا الخلق بداية ونهاية مُحددة[5]، وأُطلق على هذا الحدث اسم "المرة الأولى" sp-tpy، ورغم ذلك فقد كانت مياه نون الأزلية (الفوضوية) تُحيط بالخلق وتُهدده باستمرار، لذا يُعد نون الجانب السلبى للحياة والنظام[6].

وترمز الفوضى إلى العدم واللاخلق وغياب العناصر المكونة للعالم المخلوق، فهى "نقيض الوجود"، وعندما جاء الفيضان عالياً فى عهد الملك أوسركون الثالث، بدون سابقة فى التاريخ المصرى القديم، اعتقد القوم أنه يُمثل العودة إلى الزمن الأول sp-tpy، حيث نون ونشأة الكون التى تتمثل فى بروز التل أو تفريخ البيضة أو تفتح زهرة السوسن أو الانبعاث الغامض للإله الذى خرج منه الجميع، والحركة هى الشئ السائد فى كل مذاهب الخلق[7].

كما مثلت الشمس دوراً رئيسياً فى عملية الخلق فى مصر القديمة، فإله النور هو الذى خلق الكائنات ووهبهم الحياة، وهو لم يصدر عن شئ آخر بل إنه ذاتى من الدرجة الأولى، ولم تُحذف الفوضى تماماً عند الخلق بل استمرت الأشكال الأولية للماء والظلام فى إطار الكون برغبة إلهية إذا أراد

---

(1) Urk, VII, 26-27.
(2) Urk, IV, 490-491.
(3) BD 174, 11-17.
(4) Mcbride,D., Nun, in: Oxf.Enc.II,pp.557f
(5) يتحدث الفصل (175) من كتاب الخروجد بالنهار بأن الكون سيعود إلى نون مرة أخرى، وهذا الشئ مأخوذ من فكرة غرق جزر النيل:
-cf: Derchain, Ph., Kosmogonie, in: LÄ III,col . 749.
(6) Kamrin, J., Khunmhotep II., p. 4;
- cf: Derchain, Ph., Kosmogonie, in: LÄ III,col . 750.
(7) Sauneron., S. et Yoyotte.J, La naissance ,pp. 22f.

الخلق أن يعود إلى زمن نون، وبالتالى تأكدت القوى العدوانية – خصوصاً أبوفيس – فى الكون المخلوق حيث إنه يُهدد التوازن والنظام الطبيعى (ماعت) الذى كان مُضطرباً أيضاً بهجوم أجنبى أو ثورة اجتماعية فتحدث الفوضى، وعندما يرتقى العرش ملك مُصلح فإنه يُقيم تماثيل الآلهة ويطرد المُهاجمين ويُقر القوانين (الماعت)، وبذلك يتم تمجيده مثل خالق الكون فى المرة الأولى أو الزمن البدائي حيث خلق الكون الذي أطلق علية المصري القديم مُسمى sp-tpy[1].

وبذلك يتضح مفهوم الماعت والإسفت والعلاقة بينهما وكذلك الأسبقية من خلال الزمان، بالإضافة إلى مدى تداخلهما فى مختلف جوانب الحياة والفكر الدينى أو المُعتقدات الدينية لدى المصرى القديم.

---

(1) Ibid. ,pp. 22-23.

(شكل 1) اتحاد المعبود رع مع المعبود أوزير – مقبرة نفرتارى – وادى الملكات.
نقلاً عن:
Piankoff,A., " The Tomb of Ramsses VI", vol. I, New York 1954. p. 34, fig. 5.

(شكل 2-أ) بعض الأرباب يحملون شباك لتقويض أبوفيس – كتاب البوابات. نقلاً عن:

إريك هورننج: "وادى الملوك أفق الأبدية – العالم الآخر لدى قدماء المصريين"، ترجمة: محمد العزب موسى، مراجعة: محمود ماهر طه، القاهرة، ط 1996م.، ص 304.

(شكل 2-ب) عبب مُقيداً بالسلاسل بواسطة جب وأولاد حور – كتاب البوابات. نقلاً عن:
إريك هورننج، نفس المرجع، ص 304.

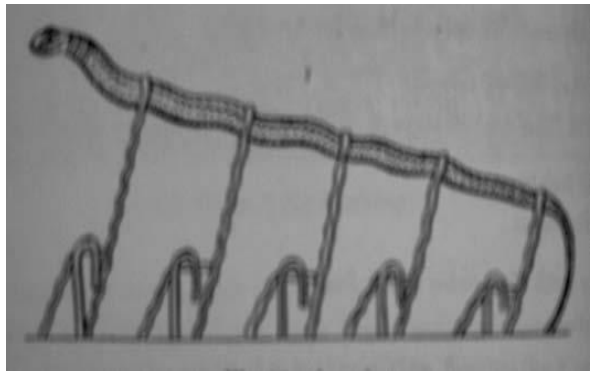

(شكل 2-ج) عبب مُقيداً بالحبال – كتاب البوابات، نقلاً عن:
Piankoff, A., op. cit., vol. I, p. 218, fig. 71.

(شكل 2-د) عبب بجسم طويل مُمتد تخرج منه رؤوس بشرية، كتاب البوابات، نقلاً عن:
إريك هورننج، المرجع السابق، ص 303.
cf: Piankoff, A., op. cit., vol. I, p. 173, fig. 46.

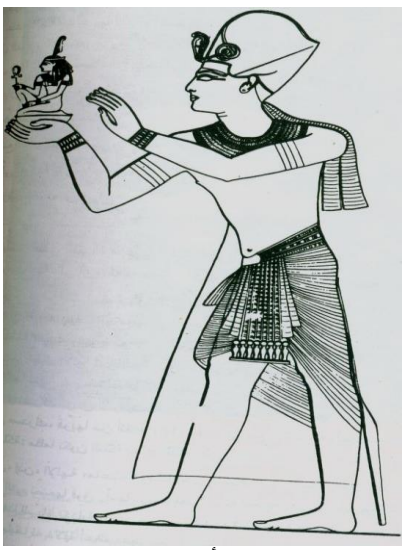

(شكل 3) مشهد يوضح الملك سيتى الأول يقدم ماعت – معبد سيتى الأول أبيدوس – عصر الدولة الحديثة، نقلاً عن: إريك هورننج: "فكرة فى صورة"، ترجمة: حسن حسين شكرى، مراجعة: محمود ماهر طه، القاهرة، 2002م.، ص 108، شكل 43.

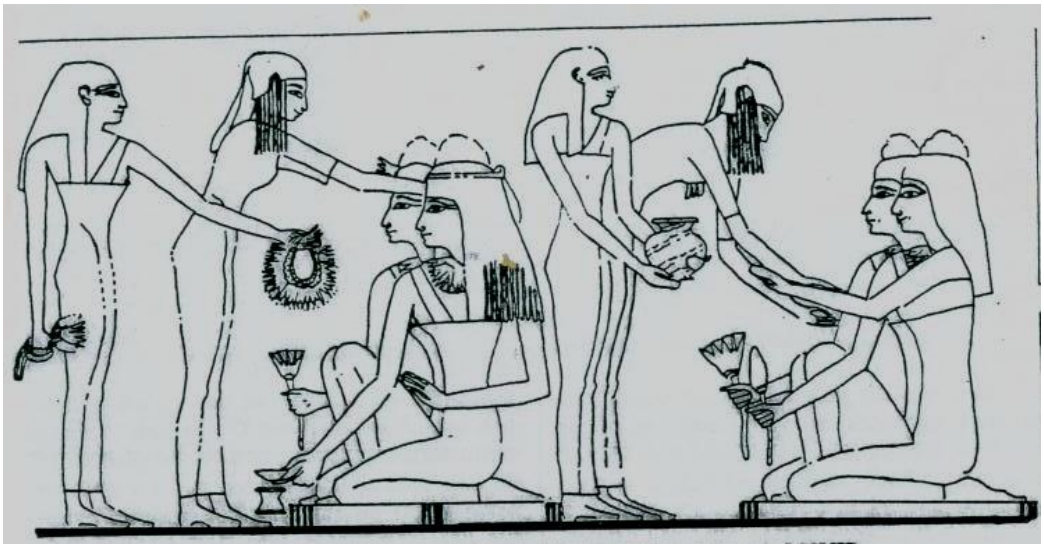

(شكل 4) مشهد يوضح زهرة اللوتس ودورها فى المعتقدات المصرية القديمة من مقبرة رخميرع رقم 155 بطيبة الغربية، عصر الدولة الحديثة، نقلاً عن:

López., J., "Gastmahl"., in: LÄ., vol. 2., Wiesbaden., 1977, cols. 385-386.

(شكل 5) تفاصيل من أنواع النباتات المصرية القديمة، نقلاً عن:

شكرى إبراهيم سعد: "نباتات مصر القديمة"، القاهرة، 1998م، ص 213، شكل 3.

(شكل 6) تفاصيل من النباتات وأزهار اللوتس فى مصر القديمة. نقلاً عن:
شكرى إبراهيم سعد: "نباتات مصر القديمة"، ص 219، شكل 9.

Lotus flowers and Ginsing fruits presented to the guests.
أزهار اللوتس وثمار الجنسنج تقدم للضيوف

(شكل 7-أ) نبات اللوتس وثمار الجنسنج تُقدم للضيوف فى مصر القديمة. نقلاً عن: شكرى إبراهيم سعد: نباتات مصر القديمة، ص 211، شكل 11

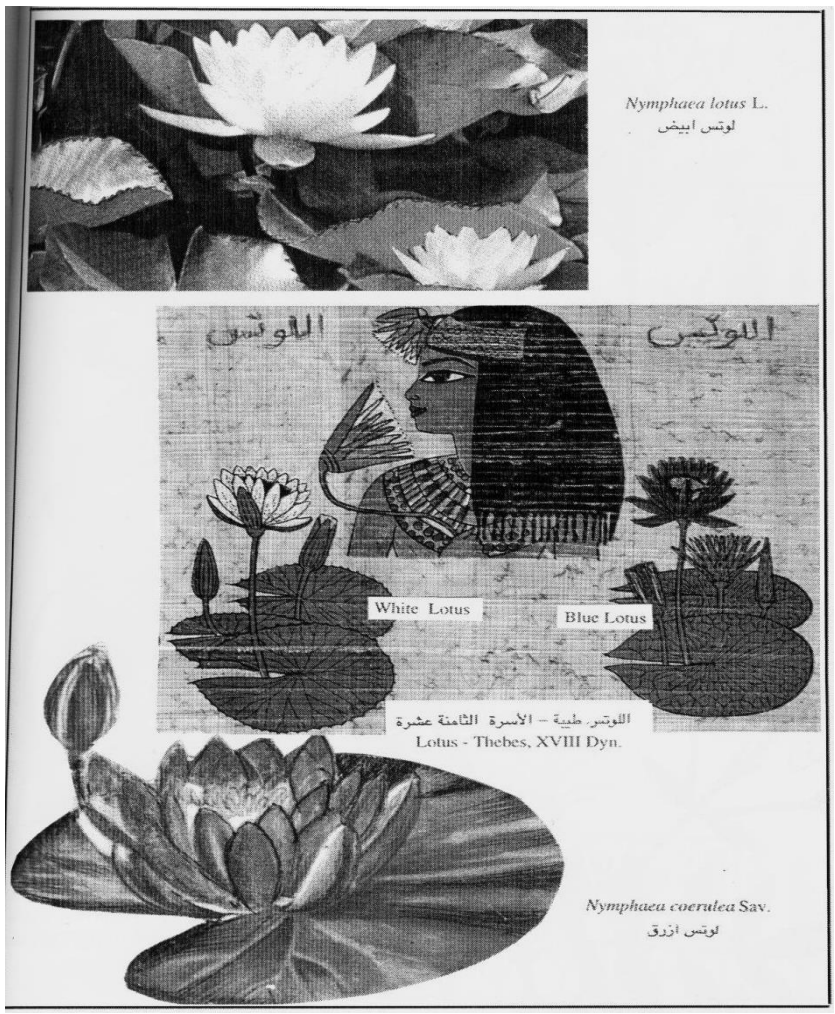

(شكل 7-ب) نباتات اللوتس الأبيض والأزرق والوردى – طيبة – عصر الدولة الحديثة – نقلاً عن:

شكرى إبراهيم سعد: "نباتات مصر القديمة"، ص 220، شكل 10